في فلسطين المحتلة؛ كما انه لم يكن ثمّة ما يوحّد بين عناصر تلك الهجرات المنتمية الى قوميات شتّى، الأمر الذي سهّل على اسرائيل عملية استيعاب القسم الأكبر منهم، اقتصادياً واجتماعياً. أمّا القسم الآخر، الذي لم يستطع التكيّف مع معطيات الواقع الاسرائيلي، فقد اختار الطريق الأقصر والأسهل للتعبير عن رفضه التكيّف مع الحالة الاسرائيلية، فنزح الى الغرب، دون ان يخوض صراعاً اجتماعياً حقيقياً داخل التجمّع اليهودي الاسرائيلي.

أمّا في الحالة الراهنة، فنحن ازاء مجموعة بشرية كبيرة نسبياً، اكتسبت سماتها الاقتصادية، والاجتماعية، وتطوّرت، عبر تفاعلات تاريخية جرت في موطنها الأصلي، الاتحاد السوفياتي. ويسعى أفراد هذه المجموعة، من خلال انتقالهم المكاني، الى اعادة تأسيس وجودهم الاقتصادي، والاجتماعي، والثقافي، في تربة مغايرة، تضمّ مجموعة بشرية أخرى (اليهود الاسرائيليين)، تكوّنت سماتها وتطوّرت، عبر تجربة تاريخية مختلفة (الهجرة، والاستيطان، والصراع المتصل ضد العرب الفلسطينيين والمحيط العربي).

ضمن هذه الرؤية، فان موجة الهجرة اليهودية الجديدة من الاتحاد السوفياتي تعتبر فرصة جيدة لاختبار العناصر المشتركة التي تجمع بين يهود العالم، والتي نهضت على أساسها الفكرة الصهيونية. فمقولات: «الأمّة اليهودية»، و«الوطن التاريخي»، والثقافة اليهودية، يجرى اختبارها، هنا، بصورة واقعية تماماً، ليس فقط اختبار قوة أو ضعف هذه العناصر المشتركة بين يهود العالم، بل، وأساساً، اختبار صحة وجود، أو عدم وجود مثل هذه العناصر، وبالتالي كشف المحتوى الحقيقي للمقولات الصهيونية الأساسية.

السمات العامة للمهاجرين من الاتحاد السوفياتي

لم يكوّن اليهود في الاتحاد السوفياتي قومية خاصة، بل لم يكن لدى الغالبية العظمى منهم احساس بقومية يهودية خارج الجمهورية التي يعيشون فيها. وكان انتشارهم الجغرافي في عدد كبير من الجمهوريات السوفياتية، وتخلّيهم عن لغة اليديش لصالح اللغة الروسية ولغات الجمهوريات السوفياتية الأخرى التي يعيشون فيها، وابتعاد معظمهم من الدين اليهودي، وعدم معرفتهم باللغة العبرية، كلها مؤشرات الى مدى اندماجهم في المجتمع السوفياتي.

لقد شكّل اليهود في الاتحاد السوفياتي شريحة من سكان المدن، واكتسبوا السمات الاجتماعية لهذه الشريحة، من حيث التوجّه المكثّف نحو العلم، لشغل المراكز العلمية والادارية المرموقة، وبرزت بينهم ظاهرة الزواج المختلط، الى درجة ان حوالى نصف الزيجات التي تحدث بين اليهود هي زيجات مختلطة، احد طرفيها غير يهودي. ومثل بقية سكان المدن الكبرى في الاتحاد السوفياتي، مال اليهود الى تكوين الأسر قليلة الأبناء، فتزايدت نسبة المسنّين في ما بينهم، وأخذت أعدادهم تتناقص، سنوياً، بفعل الزواج المختلط والوفيات في أوساط المسنّين.

ولعلّ تجربة الهجرة من شرق اوروبا، ثمّ تجربة الحرب العالمية الثانية، وما رافقها من اضطهاد لليهود في اوروبا الوسطى، والشرقية، وانتقال قسم كبير منهم الى داخل الاتحاد السوفياتي، قد سرّعا وتيرة حراكهم الاجتماعي داخل المجتمع السوفياتي، فازداد تمركزهم في المدن الكبرى، وارتفعت نسبة المتعلّمين بينهم بصورة فاقت مثيلاتها عند بقية القوميات السوفياتية الأقدم والأكثر استقراراً.

ان محاولة البحث عن سمات خاصة باليهود السوفيات، خارج التجربة السوفياتية، تنطوي